الفصل الثالث والثمانون

المجوس والصابئة

يقصد الأخباريون بالمجوس القائلين بالأصلين النور والظلمة : الخير والشر ، فيزعمون أن الخير من فعل النور وأن الشر من فعل الظلمة [1] . وهم يعلمون أن المجوس من الفرس وأنهم عبدة النيران .

وفي القرآن الكريم ذكر للمجوس . وقد ورد ذكرهم في موضع واحد منه : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس، والذين أشركوا،إن الله يفصل بينهم يوم القيامة ، إن الله على كل شيء شهيد [2] » . وفي ذكرهم في القرآن الكريم دليل كاف على معرفة أهل الحجاز بهم ، ووقوفهم عليهم . وكيف لا يكون لهم علم بهم ووقوف عليهم ، وقد كان لأهل مكة اتصال وثيق بالحيرة كما كان لأهل الحجاز اتصال باليمن ؟ وقد كان المهيمن على اليمن الفرس عند ظهور الإسلام ، حيث طردوا الأحباش وأخذوا محلهم ، وقد كان هؤلاء الفرس على المجوسية ، ثم إنه كان في حضرموت وفي العربية الشرقية أناس منهم أقاموا هناك . وقد كان وكلاء الأكاسرة على هذه الأماكن منهم ، وهم على دين

---

١ النهاية (٤/٨٥) ، اللسان (٨/٩٨) (مجس) ، تاج العروس (٤/٣٤٥) (مجس) ، الملل والنحل (٢/٥٧) ، الحيوان (١/١٩٠) ، (٤/٩٥ ، ٤٧٩ ، ٤٨١) ، المسعودي ، مروج (١/٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٧٣) ، (بيروت) ، عمدة القارىء (١٥/٧٨) .

٢ الحج ، الآية ١٧ ، عمدة القارىء (١٥/٧٨ وما بعدها) ، الطبرسي ، مجمع البيان (١٣/٨٨ وما بعدها) ، تفسير أبي السعود (٤/٨) ، تفسير الطبري (٦/٢٠١) ، روح المعاني (٦/١٧٩) ، تاج العروس (٤/٣٤٥) ، (مجس) .

المجوسية . وقد أشير الى وجودهم في أخبار الفتوح ، حيث دفع الجزية من أبى منهم الدخول في الإسلام . والظاهر أن هؤلاء كانوا مقيمين فيها من أمد طويل بدليل ورود جملة في أخبار الفتوح تفيد ذلك ، وهي : « وأسلم معها جميع العرب وبعض العجم . فأما أهل الأرض من المجوس واليهود والنصارى ، فإنهم صالحوا العلاء »[1] .

ويروي أهل الحديث حديثين يذكرون ان الرسول قالها هما : « كل مولود يولد على الفطرة ، حتى يكون أبواه يمجسانه » ، أي يعلمانه دين المجوسية . وحديث « القدرية مجوس هذه الأمة »[2] . وفي هذين الحديثين ذكر للمجوس . ولعلماء الحديث كلام عليهما . ولا سيما على الحديث الثاني ، وفيه تعريض بالقدرية ، أسلاف المعتزلة .

وكلمة (مجوس) من الكلمات المعربة ، عربت عن لفظة (مغوس) « Maghos » الفارسية التي تعني (عابد النار)[3] . وهي من الألفاظ التي دخلت إلى اليونانية كذلك ، حيث وردت لفظة « Magi » فيها ، وهي جمع (مجوس) « Magus »[4] . وقد دخلت الى لغة (بني إرم) أيضاً . ولا ندري اليوم على وجه صحيح من أي طريق دخلت لفظة (مجوسي) و (مجوس) الى العربية ، عن الفرس أنفسهم ، أو عن اليونانية أو عن طريق لغة (بني إرم)[5] !

وقد عرف علماء اللغة بأن لفظة (مجوس) من الألفاظ المعربة . وقد ذهبوا الى انها معربة عن الفارسية القديمة . ولكنهم اختلفوا فيما بينهم في أصل اللفظة وفي بيان معناها ، وذهبوا في ذلك مذاهب[6] ، وبعض هذه التفسيرات والتأويلات مفتعل يدل على عدم وقوف أصحابها على جلية الموضوع .

---

١ البلدان (٢/٧٤) ، « ومن أبى فعليه الجزية . فصالحهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، على أن على المجوس الجزية » ، « وأخذ الجزية من المجوس » ، الطبري (٣/٢٩) .

٢ اللسان (٦/٢١٣ وما بعدها) ، تاج العروس (٤/٣٤٥) ، اللسان (٨/٩٨) «مجس» « طبعة بولاق » .

٣ غرائب اللغة (ص ٢٦٩) .

٤ Hastings, p. 565.

٥ Shorter Ency. of Islam, p. 98, Ency., III, p. 97.

٦ اللسان (٨/٩٨) « طبعة بولاق » ، محيط المحيط (٢/٢٥٠) ، تاج العروس (٤/٣٤٥) «مجس» ، الحيوان ، للجاحظ (٥/٦٩) « عبد السلام هارون » ، المعرب ، للجواليقي (٣٢٠) .

ويريد الأخباريون بالمجوسية عبادة النـــار . واذا صح ما ورد في شطر بيت منسوب الى الشاعر الجاهلي (التوأم اليشكري) المعاصر لامرىء القيس ، هو : (كنار مجوس تستعـــر استعاراً)[1] ، فإن فيه دلالةً عـــلى ان هـذا الشاعر هو وامرأ القيس كانا على علم بنار المجوس ، وانها كانت تستعر دائماً ، وربما كانا على علم ببعض تعاليمها أيضاً .

وفي أخبار أهل الأخبار ما يفيد بتمجس بعض العرب ، فورد أن « المزدكية والمجوسية في تميم »[2] . وورد أن (زرارة بن عدس) وابنه (حاجب بن زرارة) ، وهما من سادات تميم كانا قد اعتنقا المجوسية ، واعتنقها أيضاً (الأقرع بن حابس) و (أبو الأسود) ، جدّ (وكيع بن حسان)[3] . وقيـل إن أشتاتاً من العرب عبدت النار ، سرى اليها ذلك من الفرس والمجوس[4] .

وكان مجوس اليمن ، من الفرس الـــذين أرسلهم كسرى لطرد الحبش من اليمن ، فهم وأبناؤهم كانوا على هذا الدين ، دين الانبراطورية الفارسية . ولما ظهر الإسلام ، نبذ هؤلاء المجوسية واعتنقوا الإسلام[5] .

وأما مجوس عُمان وبقية أنحاء العربية الجنوبية ، فقد كانوا من الفرس كذلك : من تجار ومن مقيمين من بقية الفرس الذين كانوا قد استولوا على هذه الأرضين . وعند ظهور الإسلام لم يكن لهم نفوذ سياسي ، فقد كان سادات القبائل قـــد كوّنوا مشيخات فيها ، واستقلت في إدارة شؤونها ، غير أن المجوس بقوا فيها ، وعند دخول أهلها في الاسلام ، ودخول البلاد في دين الله ، دفع بعض أولئك المجوس الجزية ، ودخل الباقون في الإسلام . شأنهم في ذلك شأن اليهود والنصارى المقيمين في هذه الأرضين .

وأما مجوس البحرين ، فقد كانوا أكثر عدداً وأكبر نفوذاً من اخوانهـــم في عُمان ، لقرب هذه الأرضين من انبراطوريـــة الساسانيين ، ولهجـــة الفرس من السواحل المقابلة ومن طريق الأبلة الساحلي . وقد عثر المنقبون عـــلى قبور عديدة

---

١ اللسان (٦/٢١٣ وما بعدها) ، تاج العروس (٤/٢٤٥) ، (مجس) .
٢ البدء والتأريخ (٤/٣١) .
٣ المعارف (٢٦٦) « الصاوي » ، البدء والتأريخ (٤/٣١) ، الاعلاق النفيسة (٢١٧) .
٤ بلوغ الأرب (٢/٢٣٣) .
٥ Ency., Vol., III, p. 99.

تعود اليهم ؛ وعلى آثار لمعابدهم في العربية الشرقية . وكان على (هجر) ، حين أبلغ الرسول دعوته اليها ، رجل من الفرس اسمه (سيبخت مرزبان) ، وقد أسلم وأسلم معه قوم من قومه ، ودفع الجزية من فضّل البقاء منهم على دينه ، شأنهم في ذلك شأن أهل الكتاب[1] . وذكر ان الرسول كتب الى (مجوس هجر يعرض عليهم الاسلام ، فإن أبوا أخذت منهم الجزية ، وبأن لا تنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم)[2] .

وكان باليمامة قوم من المجوس ، عاشوا في قراها ومواضعها، اشتغلوا بالزراعة وبالتعدين . وأرض اليمامة أرض غنيـــة ، وهي (ريف) أهل مكة ، وعليها اعتمادهم في الحصول على الحبوب . كما عرفت بوجود المعادن بها ، فسهّل أهلها دخول المجوس اليها ، للاستفادة منهم في استغلال الأرض وفي التعدين .

هذا ولم نسمع بدخول أحد من ملوك الحيرة ، أو الأمراء الذين عينهم الفرس على العرب في المجوسية مع علاقتهم بالفرس واتصالهم الوثيق بهم ، ووجود الفرس في أرضهم وفي عاصمتهم ، بينما نجد بعضاً منهم وقد دخل في النصرانية . ولعـــل ذلك بسبب عـــدم ميل الفرس الى ادخال أحد من الغرباء عنهم في دينهم والى عدّهم المجوسية ديانة قومية خاصة بهم ، فلا يهمهم دخول أحد من غيرهم فيها .

هذا ولا أجد صلة بين (الأسبذية) التي زُعم أنها ديانة قوم كانوا يعبدون الخيل بالبحرين ، عرفوا بـ (الأسبذيين) ، وبين (بني دارم) ، وكـــونهم كانوا على هذا الدين . فقد كان أحدهم وهو (المنذر بن ساوى) أسبذياً ، ولم يكونوا كلهـــم . قيل إنه نسب الى قرية بهجر يقال لها (الأسبذ) ، وقيـل الى الأسبذيين[3] . ولا صلة لهـــذه الأسبذية بالمجوسية ، أو الى ديانة دخلت من فارس الى البحرين . وقد تحدثت في مكان آخر عن وجود قوم من العرب قدسوا (الحصـــان) . ورأيي أن المراد من (الأسبذية) الفرسان . وأن (المنذر بن ساوى) كان (أسبذاً) أي بدرجة فارس ، وهي من درجة الشرف والرفعة في الجيش الساساني .

---

١ البلاذري (٨٥ وما بعدها) ، البلدان (٢/٧٣ وما بعدها) .
٢ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٣) ، (صادر) .
٣ فتوح البلدان (٩٨) ، (٨٩) (طبعة المكتبة التجارية) ، محاضرات للدكتور صالـح أحمد العلي (١٧١) .

ويذكر علماء اللغة في معرض كلامهم على معنى لفظة (الزمزمة) ان من عادة المجوس الزمزمة عند الابتداء بالأكل ، أي قراءة شيء من كتبهم الدينية قراءة خافتة على المأكول تقديساً وشكراً له . وقد نهى الخليفة عمر عن الزمزمة ، لأنها من علائم المجوس[1] .

وقد عرف عالم المجوس ورئيسهم الروحي عند العرب بـ (الموبذ) و (الموبذان) ، وعرف كبيرهم بـ (موبذان موبذ) ؛ وجعل بعض العلماء (الموبذان) بمنزلة قاضي القضاة للمسلمين ، والموبذ بمنزلة القاضي[2] . وتعني (موبذان موبذ) الموبذ الأعظم . وقد اكتفي أحياناً بلفظة (موبذان) للتعبير عن (موبذان موبذ) . وقد فسر المسعودي لفظة (الموبذ) بمعنى حافظ الدين . ورجع أصلها الى (مو) بمعنى (دين) في رأيه ، و (بذ) بمعنى (حافظ)[3] . ورأى (اليعقوبي) ان (الموبذان) بمعنى عالم العلماء[4] . والموبذ هي من الألفاظ المعربة عن الفهلوية ، فهي من أصل فهلوي هو Magupat ، بمعنى عظيم المجوس . ويتمتع هذا الرئيس الديني الأعظم بسلطات دينية واسعة[5] . وقد أطلق السريان على الموبذ جملة (ريش مكوشي) (Resh Magushi) و ,(Resh dam'gushi) ، أي (رئيس المجوس) ، و (مكوش) تعني (المجوس)[6] .

وترد في العربية لفظة أخرى ، لها صلة بالمجوسية ، هي (الهربذ) ، و (الهرابذة) . ذكر علماء اللغة أن « الهرابذية : المجوس ، وهم قومة بيت النار التي للهند ... وقيل عظماء الهنـــد أو علماؤهم » . وذكروا أن « الهربذي مشية فيها اختيال ، كمشي الهرابذة ، وهم حكام المجوس . قال امرؤ القيس :

مشى الهربذي في دفه ثم فرفرا »[7]

---

١ اللسان (١٥/١٦٥) ، تاج العروس (٨/١٦٥) ، تاج العروس (٨/٣٢٨) .
٢ اللسان (٣/٥١١) ، (موبن) ، النهاية في غريب الحديث (٤/١١٩) ، تاج العروس (٢/٥١٣) .
٣ مروج الذهب (١/٢٦٨) ، (ذكر ملوك الساسانية) ، Ency., III, p. 543.
٤ تاريخ اليعقوبي (١/٢٠٧) .
٥ Ency., III, p. 543.
٦ اللسان (٣/٥١٧ وما بعدها) ، (هربن) .
٧ Ency., III, p. 543.

واللفظة من الألفاظ المعربة عن الفارسية . من أصل (هـور) و (بت) ، بمعنى رئيس خدام النار . والموكل على خدمة النار في المعبد[1] .

وقد ذكر (الألوسي) ، أن صنفاً من العرب عبد النار ، وقال عنهم : « وهم أشتات من العرب ، وكأن ذلك سرى اليهم من الفرس والمجوس »[2] . ولم يذكر أسماء هؤلاء الأشتات . ولم يتحدث عن طريقة تعبدهم للنار . ولكننا نستطيع أن نجد في (نار الاستمطار) وفي (نار التحالف) وفي النيران الأخرى التي يذكر أسماءها أهل الأخبار دلالة على وجود فكرة تقديس بعض العرب للنار. وقد حبب الاسلام هذه النيران .

فقد ذكر أهل الأخبار ان العرب كانت في الجاهلية الأولى ، اذا احتبس عنهم المطر ، ويئسوا من نزوله ، يجمعون البقر ويعقدون في أذنابها وعراقيبها السلعَ والعشرَ ويصعدون بها في الجبل الوعر ، ويشعلون فيها النار ، ويزعمون ان ذلك من أسباب المطر ، قال الشاعر (الورل) الطائي :

أجاعلٌ أنتَ بيقوراً مسلّعة وسيلة منك بين الله والمطر[3]

وقد أشير الى هذه النار في شعر ينسب الى أمية بن أبي الصلت[4] . ويسمونها بنار الاستسقاء وبنار الاستمطار[5] .

وذكروا ناراً أخرى قالوا لها : (نار التحالف) و (نار المهول) . وقالوا ان العرب كانوا لا يعقدون حلفاً إلا عليها ، وكانوا اذا اختصموا في شيء ، واتفقوا على اليمين ، حلفوا على النار . ولهذا قيل لها (نار التحالف) . وطريقتهم في ذلك أن المتحالفين أو المتخاصمين يحفرون أمام نار يوقدونها ، ثم يلقون عليها

---

١ غرائب اللغة (٢٤٨)

٢ بلوغ الارب (٢/٢٣٣) ..

٣ (الوديل الطائي) ، صبح الاعشى (١/٤٠٩) ، بلوغ الارب (٢/١٦٤) ، خزانة الادب (٣/٢١٢) ، الحيوان (٤/٤٦٨) ،

لا در در رجـــال خاب سعيهـم يستمطرون لدى الازمات بالعشر
أحاعل أنـت بيقـورا مسلعـة ذريعة لـك بـين الله والمطـر

اللسان (٤/٧٣) ، (بقر) .

٤ نهاية الارب ، للنويري (١/١٠٩ وما بعدها) ، الحيوان (٤/٤٦٦ وما بعدها) .

٥ نزهة الجليس (٢/٤٠٦) .

ملحاً وكبريتاً . وعندئذ يذكرون منافع هذه النار ويدعون بالحرمان من خيرها على من ينقض العهد ويحل العقد.وفي حالة الحلف واليمين يقول صاحب النار للحالف: « هذه النار قد تهددتك » ، فإن كان مبطلاً نكل ، وان بريئاً حلف ، ولذلك قيل لها « نار المهول »[1] . وذكروا أيضاً أن هذه النار كانت معروفة في اليمن، مستعرة دائماً ، ولها سادة سدنة وقيّمون يطرحون الملح والكبريت في النار ، أما السدنة فيقومون بأخذ اليمين . وكان سادتها إذا أتى برجل ليحلف ، هيبوه من الحلف بها ، وخوّفوه من الكذب . وقد عرفت هذه النار بـ (نار التحاليف) كذلك . وقد أشار اليها الكميت بقوله :

هم خوّفوني بالعمى هوّة الردى كما شب نار الحالفين المهوّل

كما أشار اليها شاعر آخر هو أوس ، إذ قال :

إذا استقبلته الشمس صد بوجهه كما صدّ عن نار المهوّل حالف[2]

وذكر (الجاحظ) أن العرب « يقولون في الحلف : الدّم ، الدّم ، والهدم الهدم ، لا يزيده طلوع الشمس إلا شداً ، وطول الليالي إلا مداً ، ما بل البحر صوفة ، وما أقام رضوى في مكانه ، إن كان جبلهم رضوى .

« وكل قوم يذكرون جبلهم ، والمشهور من جبالهم . وربما دنوا منها حتى تكاد تحرقهم »[3] .

بل زعم بعض أهل الأخبار ان حمير كانت تحتكم الى نار كانت باليمن تحكم بينهم فيما كانوا يختلفون بـه . تأكل الظالم ولا تضر المظلوم . فلما اعتنق التبـع (تبان أسعد) ، ديانة يهود ، وطلب من قومه الدخول فيها ، أبوا عليه ذلك، وطلبوا منه الاحتكام الى تلك النار في قصة يذكرونها في سبب تهوّد بعض حمير[4].

وللعرب نار السعالى والجن والغيلان[5] . ذكروا ان الغيلان توقد بالليل النيران

---

١ اللسان (٥/٢٤٣) ، (نور) ، نزهة الجليس (٢/٤٠٦) .

٢ اللسان (٧/١٠٢) ، صبح الاعشى (١/٤٠٩) ، خزانة الادب (٣/٢١٢) ، (خوفونا)، نهاية الارب (١/١٠٩ وما بعدها) ، بلوغ الارب (٢/١٦١ وما بعدها) ، الحيوان (٤/٤٧٠) .

٣ الحيوان (٤/٤٧٠ وما بعدها) .

٤ سيرة ابن هشام (١/٢٧) .

٥ الحيوان (٤/٤٨١) .

للعبث والتخييل واضلال السابلة . وانها ترفع للمثقفر فيتبعها فتهوى بـــه الغول . وأورد أهل الأخبار شعراً في ذلك منه شعر لـ (عبيـد بن أيوب) ، المعروف بـ (أبـي مطراب) ، وكان يزعم انه يؤاكل الظبـــاء والوحش ويرافق الغول والسعلاة ، ويبايت الذئاب والأفاعي[1] .

وذكر أهل الأخبار قصة عن (خالد بن سنان العبسي) النبي العربـي الـذي منحه بعضهم في الاسلام جملة (عليه السلام) باعتبار انـه من أنبياء الله ، قد يكون لها صلة بعقيدة عبادة النار عند العرب . إذ ذكروا ان ناراً ظهرت «بالبادية بين مكة والمدينة في الفترة ، فسمتّها العرب بدأ ، وكادت طائفة منهم ان تعبدها مضاهاةً للمجوس . فقام خالد هذا ، فأخذ عصاه ، واقتحم النار يضربها بعصاه، حتى أطفأها الله تعالى . ثم قال : إني ميت ، فإذا أنا مت ، وحال الحول ، فارصدوا قبري . فإذا رأيتم حماراً عند قبري ، فارموه واقتلوه ، وانبشوا قبري، فإني أحدثكم بكل ما هو كائن . فمات . فلما حال الحول ، رأوا الحمار فقتلوه، وأرادوا نبشه ، فمنعهم أولاده ، وقالوا : لا نسمى بني المنبوش »[2] . وقد عرفت تلك النار بـ (نار الحرتين)[3] . وذكر انها كانت ببلاد عبس ، فإذا كان الليل تضيء نار تسطع وفي النهار دخان مرتفع . وربما بدر منها عنق فأحرق من مرّ بها . فحضر خالد بن سنان النبي ، فدفنها ، فكانت معجزة له[4] . ويظهـــر ان حرة ، كانت في تلك المنطقة ، ثم خمدت فنسب النـاس خمودها الى (خالد بن سنان) .

وللجاهليين استعمالات أخرى للنار ، فكانوا إذا خافوا شرّ رجـــل ، وتحوّل عنهم أوقدوا خلفه ناراً، ليتحوّل شرهم معه[5] . ويقولون : « أبعده الله واسحقه وأوقـــد ناراً في أثره » ، يقولون ذلك لكراهيتهم له ، ويتمنّون المـــوت له . وتعرف هذه النار بـ (نار الطرد)[6] . وذكر أن العرب تدعو على العدو فتقول:

---

١ الحيوان (٤/٤٨١ وما بعدها) ، معجم الشعراء (١٨٢) ، مروج الذهب (١/٣٢٨) ، الحيوان (٥/١٢٣) ، صبح الاعشى (١/٤١٠) .

٢ محاضرات الابرار (١/٧٧) ، نهاية الارب (١/١٠٩ وما بعدها) ، نزهة الجليس (٢/٤٠٦) .

٣ الحيوان (٤/٤٧٦ وما بعدها) .

٤ صبح الاعشى (١/٤٠٩ وما بعدها) .

٥ اللسان (٧/١٠٢) ، نهاية الارب (١/١٠٩ وما بعدها) .

٦ خزانة الادب (٣/٢١٢) ، الحيوان (٤/٤٧٤) ، صبح الاعشى (١/٤٠٩) .

أبعد الله داره وأوقد ناراً اثره[1] .

ولا بد أن يكون للنار الموقدة على المزدلفة صلة ما بعقائد الجاهليين القديمة في النار . وينسب الأخباريون هذه النـــار الى (قُصي بن كلاب) ، يقولون إنه أوقدها على المزدلفة حتى يراها من دفع من عرفة في أيام الحج . وقد بقي الناس يوقدونها الى الاسلام[2] .

ومن نيران العرب ، نار الغدر ، وتوقد بمنى أيام الحج على أحد الأخشبين ، جبليْ مكة : أبي قبيس وقُعَيْقعان ، أو أبو قبيس والأحمر . فإذا استعرت ، صاح موقدها : هذه غدرة فلان ، ليحذره الناس ، وليعلموا أن فلاناً قد غدر بجاره[3] .

وأما (نار السلامة) ، فهي التي توقد للقادم من سفر سالماً غانماً ، وقـــد عرفت لذلك بـ (نار المسافر) أيضاً[4] . و (نار السليم) ، هي النـــار التي توقد للملدوغ وللمجروح ولمن ضرب بالسياط ولمن عضه الكلب الكَلِبُ،ويقولون إنها إنما توقد لكي لا يناموا ، فيشتد بهم الأمر ويؤدي الى الهلاك[5] .

وأما (نار الحرب) ، فهي النار التي كانوا اذا أرادوا حربـــاً ، وتوقعوا جيشاً عظيماً ، وأرادوا الاجتماع أوقدوا ليـــلاً على جبلهم ناراً ، ليبلـــغ الخبر أصحابهم . واذا جدوا في جمع عشائرهم اليهم أوقدوا نارين[6] .

ونار الصيد ، هي نار توقد للظباء وللحيوانات الأخرى ، فتغشاها اذا نظرت اليها[7].

---

١ قال الشاعر :
وجمـــة أقوام حملت ، ولم أكن كموقـــد نـــار أثرهـــم للتنـــدم
اللسان (٥/٢٤٣) ، (نور) .

٢ صبح الاعشى (١/٤٠٩) ، نهاية الارب (١/١٠٩ وما بعدها) ، نهاية الارب فـــي معرفة أنساب العرب (٤٦٢) ، الكامل ، لابن الاثير (٢/١٧) ، نزهـــة الجليس (٢/٤٠٦) .

٣ بلوغ الارب (٢/١٦٢) ، نهاية الارب (١/١٠٩ وما بعدها) ، نزهـــة الجليس (٢/٤٠٦) .

٤ الحيوان (٤/٤٧٣) ، نزهة الجليس (٢/٤٠٦) .

٥ بلوغ الارب (٢/١٦١ وما بعدها) ، صبح الاعشى (١/٤١٠) .

٦ الحيوان (٤/٤٧٤ وما بعدها) ، (٥/١٣٣) ، صبح الاعشى (١/٤٠٩) ، نزهـــة الجليس (٢/٤٠٦) .

٧ صبح الاعسى (١/٤١٠) ، نزهة الجليس (٢/٤٠٦) .

ونار الأسد ، وهي نار توقد اذا خافوا الأسد ، لينفر عنهم ، فإن من شأنه النفار عن النار ، يقال انه اذا رأى النار حدث له فكر يصده عن قصده، ويشغله عن السابلة . ويقولون إن الضفدع اذا رأى النار تحير وترك النقيق[1] .

ونار الفداء ، وكان الملوك منهم ، إذا أسروا نساء قبيلة ، خرجت اليهم السادة منهم للفداء أو الاستيهاب ، فيكرهون ان يعرضوا النساء نهاراً فيفتضحن أو في الظلمة فيخفى قدر ما يحبسونه لأنفسهم من الصفي ، فيوقدون النار لعرضهن[2] .

ونار القرى ، هي من أعظم مفاخر العرب ، وهي النار التي ترفع للسفر ، ولمن يلتمس القرى ، فكلما كان موضعها أرفع كان أفخر . وهي نار مذكورة على الحقيقة لا على المثل[3] . وعرفت عندهم بـ (نار الضيافة) وبـ (نار الأضياف) أيضاً . وقد ذكر أهل الأخبار انهم ربما يوقدونها بـ (المندلى) ، ليهتدي اليها العميان . فالمندلى خشب ذو رائحة طيبة ، تفوح منه اذا أحرق ، فتشم من مسافة بعيدة[4] . وذكر انهم كانوا يوقدونها في ليالي الشتاء ، خاصة لحاجة الناس إلى القرى في ذلك الوقت . وكلما كانت النار مرتفعة ضخمة، كانت أفخر لصاحبها . وقد أشير اليها في الشعر[5] .

ويطلق العرب على كل نار تراها العين لا حقيقة لها عند النّاسها، نار الحباحب، ونار أبي الحباحب . وقد ذكر (الجاحظ) أنه لم يسمع في أبي حباحب شيئاً[6]. ولهم قصص عن شخص زعموا أنه كان يعرف بـ (أبي حباحب) ، وكان رجلاً في سالف الدهر بخيلاً لا توقد له نار بليل ، مخافة أن يقتبس منها نار ، أو يراها الضيفان فيفدون اليه ، فإن أوقدها ثم أبصرها مستضيء أطفأها، فضربت العرب به المثل في البخل ، فقالت : « أخلف من نار أبي حباحب » . وذكر

---

١ صبح الاعشى (١/٤١٠) ، بلوغ الارب (٢/١٦١ وما بعدها) ، خزانة الادب (٣/٢١٢) ، نزهة الجليس (٢/٤٠٦) .

٢ صبح الاعشى (١/٤١٠) ، بلوغ الارب (١/١٦١ وما بعدها) ، خزانة الادب (٣/٢١٢) ، نزهة الجليس (٢/٤٠٦) .

٣ الحيوان (٥/١٣٤) ، خزانة الادب (٣/٢١٢) ، نزهة الجليس (٢/٤٠٦) .

٤ بلوغ الارب (٢/١٦١ وما بعدها) ، نهاية الارب (١/١٠٩ وما بعدها) .

٥ بلوغ الارب (٢/١٦١) ، صبح الاعشى (١/٤١٠) .

٦ الحيوان (٤/٤٨٦ وما بعدها) ، المخصص (١١/٢٨) ، بلوغ الارب (٢/١٦١ وما بعدها) .

أن (أبا الحباحب) رجل كان لا ينتفع بماله لبخله فنسبوا اليه كل نار لا ينتفع بها[1].

ومن النيران الأخرى : نار البرق ، ونار البراعة ، ونار الخلعاء والهراب ، ونار الوسم ، وهي النار يسم بها الرجل منهم أبله . فيقال له : ما سمة إبلك ؟ فيقول كذا[2] .

وقد ذكر علماء اللغـــة أن العرب استعملوا النار في معنيين : معنى حقيقي ، ومعنى مجازي . وقصدوا بالنيران الحقيقة ، النيران التي كان يوقدها العرب حقاً ، وحصروها في أربعة عشر ناراً أو أكثر من ذلك ، أو أقل[3] . وقصدوا بالنيران المجازية ، استعمال الكلمة في معان مجازية ، مثل قولهم نار الحب ونار المعدة ، ونار الحُمى ، ونار الشوق[4] .

الصابئة :

ونجد في القرآن الكريم اشارة الى الصابئين ، وقد ذكروا بعد اليهود والنصارى في موضع من سورة البقرة[5] ، وذكروا وسطاً بين اليهود والنصارى في موضع من سورة المائدة وفي سورة الحج[6] . ويظهر ان معارف أهل الأخبار عنهم نزرة ، فليس لديهم شيء مهم مفيد يفيدنا عن عقائد أولئك الصابئة وآرائهم .

وقد ربط أهل الأخبار بين هؤلاء الصابئة المذكورين في القـــرآن وبين صابئة حرّان وصابئة العراق ، وجعلوهم طائفتين في الأصل : طائفة هم صابئة حنفاء

---

١ بلوغ الارب (٢/١٦١ وما بعدها) .

٢ الحيوان (٤/٤٨٦ وما بعدها) ، صبح الاعشى (١/٤١٠) ، نهاية الارب (١/١٠٩ وما بعدها) .

٣ بلوغ الارب (٢/١٦١ وما بعدها) ، خزانة الادب ، للبغدادي (٣/٢١٢) ، (بولاق) ، نهاية الارب (١/١٠٩ وما بعدها) ، الحيوان (٥/١٠٧ وما بعدها) ، نزهـــه الجليس (٢/٤٠٦) .

٤ نهاية الارب (١/١٠٩ وما بعدها) .

٥ البقرة ، الاية ٦٢ .

٦ المائدة ، الاية ٦٩ ، الحج ، الاية ١٧ ، تفسير الطبري (٢/١٤٤) ، « دار المعارف » ، مجمع البيان ، للطبرسي (١/٢٧٨) ، الملل والنحل ، للسهرستاني (٢/٩٨) ، نخبه الدهر في عجائب البر والبحر ، للدمشقي (١/٤٤) « بطرسبورغ » ، ابن خلـدون (٢/٣٢) « دار الكتـاب اللبنانـــي ١٩٥٩ م » ، المسعودي ، مروج (٢/٢٤٧) ، الفهرست (٣٣٢) ، رسوم دار الخلافة (٥) .

وهم في نظرهم أصحاب ابراهيم ممن كان بحرّان وممن كان على دعوته ، وصابئة مشركون وهم من فسدوا من الصابئة فأشركوا واعتقدوا بالكواكب[1] .

ولكن الذي يفهم من القرآن الكريم ان الصابئة جماعة كانت على دين خاص ، وانها طائفة مثل اليهود والنصارى ، أي ان الكلمة مصطلح ولهـا مدلول معين مفهوم . فما ذهب اليه المفسرون من هذا التعريف للصابئة ومن هذا التقسيم ، انما تكوّن عندهم في الاسلام ، بعد وقوفهم على أحوال الصابئة واتصالهم بهم .

ويفهم من المواضع التي ورد فيها ذكرهم في القرآن الكريم ، ومن ورود اسمهم مع اليهود والنصارى فيه ، انهم كانوا يعبدون إلهاً ، ويتوجهون في دينهم اليه[2] .

ولا استبعد أن يكون من بين سكان مكة أناس كانوا من الصابئة ، جـاءوا اليها تجاراً من العراق ، أو جاء بهم الحظ اليها ، حيث أوقعهم في سوق النخاسة ، فاشتراهم تجار مكة وجاءوا بهم الى مدينتهم ، وعرفوا منهم أنهم صابئة .

ونحن إذا ما تتبعنا ما ورد عن لفظة صبأ وصابىء في الموارد الاسلامية نرى أن هذه الموارد تفسر لفظة صبـأ بمعنى خرج من شيء الى شيء ، وخرج من دين الى دين غيره . وتذكر أن قريشاً كانت تسمي النبي صابئاً ، والصحابة الصباة[3] . أي الخارجين على دين قومهم . وهي تستعمل لفظة الصابئة في كثير من الأحوال في معنى حنفاء ، كالذي نراه في ربطهم ابراهيم بهاتين الديانتين ، وعدّهم قدماء الصابئة في جملة الحنفـاء ، فإن هذا يدل على أن المراد من الصابئة بين العرب عنـد ظهور الاسلام هم المنشقون الخارجون على ديانة قومهم ، أي على عبادة الأوثان والمنادين بالتوحيد . وأما ما نراه من إطلاق الصابئة على الصابئة المعروفين في الاسلام ، فإنما حدث في الإسلام .

واطلاق قريش لفظة الصابىء والصباة على المسلمين بدلاً من تسميتهم بمسلمين قضية مهمة جداً ، يجب الاهتمام بها ، وفي الأخبار أمثلة كثيرة على ذلك . فقد

---

١ التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون (١/٨٨٧) ، بلوغ الارب (٢/٢٢٣ ومـا بعدها) .

٢ Dictionary of Islam, p. 551.

٣ النهاية (٢/٣٦٩) ، اللسان (١/١٠٢) ، « وكانت العرب تسمى النبى صلى الله عليه وسلم الصابىء ، لانه خرج من دين قريش الى الاسلام ، ويسمون من يدخل في دين الاسلام مصبوا .. ويسمون المسلمين الصباة » ، تاج العروس (١/٣٠٦) ، « طبعة الكويت » ، القاموس المحيط (١/٢٠) .

ذكرت كتب الحديث والسير واللغة أن قريشاً دعت النبي صابئاً ، وفي جملة من دعاه بذلك عمر قبل اسلامه ، ثم رمي عُمر بها بعد إسلامه أيضاً . ولما أسلم أبو ذر الغفاري ، انهال عليه أهل مكة بالضرب ، لأنه صبأ وفتن وخرج عن دينهم . ولما أرادت زوج مطعم بن عديّ خطبة ابنة أبي بكر الى ابنها ، ذكرت له أنها تخشى أن يؤثر على ولدها ، فيكون من الصباة . وقد كانت لفظة الصباة والصُّبّاء بمعنى مسلمين عند المشركين،ففي معركة حنين نجد (دريد بن الصمّة) يخاطب أحد رؤوس القوم ويقول له في جملة ما قاله : « ثم ألق الصُبّاء على متون الخيل »[1] . ولما أرسل بنو عامر لبيداً الى النبي ليرى خبره وعلمه، أسلم ، وأصابه وجع هناك شديد من حمّى ، فرجع الى قومه بسبب تلك الحمّى، وجاءهم بذكر البعث والجنّة والنار ، فقال صرافة بن عوف بن الأحوص :

لَعَمْرُ لبيد إنه لابن أمه ... ولكن أبوه مسه قدم العهد
دفعناك في أرض الحجاز كأنما ... دفعناك فحلاً فوقه قرع اللبد
فعالجت حماه وداء ضلوعه ... وترنيق عيش مسه طرف الجهد
وجئت بدين الصابئين تشوبه ... بألواح نجد بعد عهدك من عهد
وإن لنا داراً زعمت ومرجعاً ... وثم إياب القارضين وذي البرد

فكان عمر يقول : « وايم الله إياب القارضين وذي البرد[2] » . فقصد الشاعر بجملة « دين الصابئين » الإسلام ، فالصابئون في نظر المشركين هم المسلمون .

ولما ذهب سعد بن معاذ إلى مكة ، أنبه أبو جهل على قدومه اليها بعد ان دخل في دين الصابئين . ولما قدم خالد بن الوليد على بني جذيمة ، نادوه بأنهم صبأوا ، أي دخلوا في الاسلام[3] . ويلاحظ ان الوثنيين أطلقوا هذه التسمية على كل من أسلم ، وعلى كل من شكّوا فيه ورأوا انه ميال اليهم ، فكانوا يرمونه بهذه التهمة . أما المسلمون ، فلم يرتاحوا اليها . والظاهر انها كانت سبّة بالنسبة اليهم في ذلك العهد ، بدليل انهم كانوا يكذبون من كان يطلقها من المشركين عليهم ويردّ عليهم رداً شديداً ، فلما نادى جميل بن معمر الجمحي في قريش :

---

١ الطبري (١/١٢٦) ، « معركة حنين » .
٢ الاغاني (١٥/١٣١ وما بعدها) « خبر لبيد في مرثية أخيه » .
٣ لقد جمع « ولهوزن » أكثر المواضع التي أطلق الوثنيون فيها هذه اللفظة على المسلمين ، راجع كتابه : Reste, S. 236.

ألا ، ان ابن الخطاب قد صبأ ، وذلك حين دخل في الاسلام ، وشهد بذلك أمام النبي ، نادى عمر من خلفه : كـــذب ، ولكني أسلمت ، وقالت قريش : صبأ عمر[1] . ولا بد ان يكون لتكذيب عمر وغيره الوثنيين لتسميتهم المسلمين بهذه التسمية من سبب . وهو سبب يشعر ان أهل مكة انما أطلقوها عليهم إهانة لهم وازدراء لشأنهم وعلى سبيل السبّة ، لأنها كانت سبّة عندهم وذلك قبل الاسلام. وإلا لما انزعج المسلمون منها ، وردّوا على قريش بسببها رداً قبيحاً . وقد رأيت ان المسلمين كانوا يفتخرون باطلاق الحنيفية عليهم ، وانهم كانوا يرون ان الحنفاء هم سلف المسلمين ، وان ابراهيم كان حنيفاً وكان أول المسلمين .

فالصابئون اذن هم أولئك الخارجون على عبادة قومهم المخالفون لهم في ديانتهم. شأنهم في ذلك في نظر قريش شأن من يسميهم المسلمون في ايامنـــا بالملحدين أو الهدامين ، أو أي مصطلح آخر يراد به الرمي بالخروج على مثـل المجتمع القائم وتقاليده ، وذلك ازدراء بهم ، وتنفيراً للناس عنهم .

---

١ ابن الاثير (٢/٣٤ وما بعدها) « ذكر اسلام عمر بن الحطاب » .